الفصل السَّابع

المدرسة.. ومشكلات الطفل الموهوب

مـن المشـكلات التوافقيـة التـي يواجههـا الطفـل الموهـوب أنَّـه قـد لا يـري في العمـل المدرسـي مـا يُثيـر اهتمامـه وفضولـه، خاصَّـة أن المُعلِّم يهتم بالفصل الدراسـي ككُلٍّ، أي بغالبيـة التلاميذ ويحـاول أن يُسـاير المسـتوي العقلـي لهـذه الغالبيـة ممَّـا يجعـل الطفـل الموهـوب يـري أنَّ الـدروس مملـة ولا تسـتحق الاهتمـام، بـل تفعيـل الأمـر إلـي درجـة أنَّ الطفـل الموهـوب يهمـل دروسـه ويفشـل في الامتحانـات المدرسـيَّة٠

وقـد بيَّنـت اختبـارات الـذكاء أنَّ بعـض الأطفـال الموهوبـين لـم يكونـوا متفوقـين في النتائـج الدراسـيَّة ممَّـا جعـل المتخصصـين في هـذا المجـال يُميـزون بـين نسـبة الـذكاء ونسـبة التحصيـل٠

● إلقاء اللَّوم علي المدرسة بشأن الطفل الموهوب !!

تُشـير بعـض الدراسـات إلـي أنَّ أُسـرة الطفـل الموهـوب أقـل رضـاءً وأكثـر تذمُّـراً مـن أسـرة الطفـل العـادي، وخصوصـاً إذا كان الطفـل شـديد الموهبـة٠ وإنَّـه بعـد أن يتـم اكتشـاف الطفـل الموهـوب تبـدأ الأسـرة بشـن حملـة شـعواء علـي المدرسـة والمُعلِّمـين٠

وتصـب الأسـرة اللَّـوم علـي المدرسـة في العديـد مـن الأمـور، فـإذا قصَّـر الطفـل في إحـدى المـواد اتهمـت المُعلِّمـين بعـدم تشـجيع الطفـل، وإذا أسـاء الطفـل السـلوك اتهمـت المنهـج بأنَّـه لا يتحـدي

عقل الطفل، وإذا كره الطفل الواجبات المدرسيَّة اتهمت المدرسة بالضغط علي الطفل، ويقع الطفل ضحية بين هذين الطرفين المتنازعين، ممَّا يستوجب إرشاد الأسرة بأسلوبٍ صحيحٍ، ومدّ جسور التعاون والتواصل السَّليم بين الأسرة والمدرسة، وتحقيق الشراكة الكاملة بين البيت والمدرسة والطفل٠

وبسبب إحساس أُسرة الطفل الموهوب بأنَّ المدرسة عاجزة عن تلبية احتياجات طفلها برزت في الولايات المتحدة الأمريكيَّة ظاهرة ما يُسميّ بـ « المدرسة البيتية» Home Schooling حيث تولت الأسرة مسؤولية تعليم الطفل الموهوب في المنزل بدلاً من المدرسة.

● الطفل الموهوب ومشكلة التكيف مع زملاء الفصل:

في المدرسة قد يوضع الطفل الموهوب في فصل دراسي أعلي نظراً لتفوقه، حيث يكون التلاميذ في الغالب أكبر منه سِناً٠ وهذا الوضع يُثير لدي الطفل الموهوب مشكلة التكيُّف مع هؤلاء التلاميذ الأكبر منه سِناً، والذين قد لا يألفونه لأنَّه يكشف تهاونهم وعدم جديتهم خاصَّة إذا كان المُعلِّم يُقارنهم بالطفل الموهوب الذي يُعتبر نموذجاً له٠

● **اتجاه توحيد البرامج والأساليب التربويَّة:**

تهتم المدرسة عادةً بتوحيد برامجها وأساليبها التربويَّة باعتبارها مدرسة الجميع، لذا فإنَّها لا تُشكِّل مجالاً للاهتمام بالموهوبين من تلاميذها، وبالتالي قلَّما تُعوض تقاعس الأسرة في هذا المجال.

● **المناهج الدراسية التقليدية .. والطفل الموهوب :**

نظراً لأنَّ المناهج توضع في مستوي الطالب المتوسط فهي تؤدي غالباً إلي شعور الطفل الموهوب بالملل والإحباط، كما أنَّ أساليب التعليم الحالية لا تُشجع علي التفكير الإبداعي؛ لأنَّها لا تُعطي الأطفال الفرصة للتعبير عن أفكارهم الأصيلة، إذ يفشل الكثيرون من الموهوبين في تطوير جانب كبير من استعداداتهم بسبب المعوقات والضغوط التي تنجم عن عدم انسجامهم مع المناهج، والأساليب التعليميَّة، ووسائل تنفيذها، وأساليب تقويمها، فهي لا تتناسب وقدراتهم الفذة.

كما لا تُتيح لهم فرص الدراسة المستقلة، ولا تستثير حُبَّهم للاستطلاع، وشغفهم بالبحث وإجراء التجارب العملية.. ونظراً لمَّا يتميَّز به الموهوب من مقدرةٍ علي التعلُّم وفق معدلات أسرع من أقرانه العاديين فإنَّ جزءاً كبيراً من وقته ــ يتراوح بين ٢٥٪

إلـي ٣٠ ٪ علـي حدٍّ تقديـر بعـض الباحثـين ــ يضيـع هبـاءً دون اسـتثماره بدرجـةٍ كافيـةٍ، ممَّـا يبعـث في نفسـه الملـل والسـأم مـن جـو المدرسـة.

● **القصور الشديد في الكشف المبكر عن الطفل الموهوب:**

تسـتلزم عمليـة تربيـة الموهوبـين وتشـجيعهم بشـكلٍ هـادف ومنظـم أن تسـبقها خطـوة التعـرُّف المبكـر إلـي قـدرات الموهـوب وتحديـد مسـتوياته ومجالاتـه.

ويؤكِّـد بعـض الباحثـين علـي أهميـة التبكيـر في اكتشـاف الموهوبـين وعـدم الانتظـار لأعمـار متأخـرة خشـية اكتسـابهم أسـاليب وعـادات مُعوقـة لتكيُّفهـم مـع النظـم التعليميَّـة، بالإضافـة إلـي مـا يترتـب عليـه تأخيـر اكتشـافهم مـن تعريـض طاقاتهـم للهـدر والفَقْـد٠ فقـد تظـل بعـض القـدرات والاسـتعدادات والمواهـب كامنـة لا تظهـر، وذلـك بسـبب الإهمـال والحرمـان مـن جانـب البيـت والمدرسـة، فمـا يـزال هنـاك قصـور في النظـم التعليميَّـة مـن حيـث توافـر الوسـائل العلميَّـة السَّـليمة القـادرة علـي تشـخيص قـدرات الأطفـال والكشـف عـن اسـتعداداتهم التعليميَّـة.

ومـن المُلاحـظ في مدارسـنا اسـتخدام وسـيلتين للتعـرُّف علـي الموهوبـين: الوسـيلة الأوَّلـي، هـي اختبـارات التحصيـل، ومـن عيوبهـا

أنَّها لا تتصف بالصدق، وأنَّها مُحدَّدة بالغرض الضيق الذي أُعدَّت من أجله، وكذلك بعدد الأفراد الذين أُعدَّت لهم، وقد تخضع للأحكام الذاتية للمُعلِّم.

أمَّا الوسيلة الثانية، فهي تقديرات المُعلِّمين والتي قد لا تتسم بالدقة والموضوعيَّة في جميع الأحوال، كمَّا تتأثَّر بالسمات الشخصيَّة المُضلِّلة لدي الطلاب، ومن ثمَّ فإن المُعلِّمين كثيراً ما يعجزون في التعرُّف علي الطلاب الموهوبين سيما أولئك الذين لا يتفوقون في خصائصهم السلوكيَّة.

والنظم المدرسيَّة السَّائدة بمناهجها، وطرق تدريسها، والعوامل السَّلبيَّة التي تُسيطر عليها تحول دون الكشف عن مواهب وقدرات الطلاب. فغالباً ما يهتم المُعلِّم بالقدرة النظرية المُجرَّدة وما يرتبط بها من جوانب الاهتمام بالحفظ والاسترجاع دون فهم أو تمييز، والاهتمام بالنظام والطاعة دون إبداء وجهات النظر، وهذه النظم غالباً ما تؤدي إلي القضاء علي أية موهبة !!

● أسئلة الطفل الموهوب واستفساراته .. وضيق المُعلِّمين:

الطفل الموهوب يُدرك ويستوعب كُلّ ما يُقال له أسرع وأعمق من أقرانه في الفصل، ونحن نُلاحظ أنَّه كُلَّما استرسل المُعلِّم في الشرح بالإعادة والتكرار، شعر بالملل والضيق والتبرُّم؛ لأنَّه يستوعب بسرعةٍ ملحوظةٍ.

ومـن المعـروف عـن هـؤلاء الموهوبـين أنَّهـم كثيـرو الأسـئلة، ولديهـم ملاحظـات قـد تتسـبب في إحـراج بعـض المُعلِّمـين ومـن قبلهـم الآبـاء، والغريـب في الأمـر أنَّ هـؤلاء الأطفـال الموهوبـين قـد يواجهـون بالعقـاب البدنـي أو السـخرية منهـم والازدراء واللامبـالاة، بحجـة أنَّ هـذه الأسـئلة، وتلـك الاستفسـارات إنمـا تُعيـق العمـل الروتينـي داخـل الفصـل، حينمـا يتطـرَّق مثـل هـؤلاء التلاميـذ إلـي موضوعـات خـارج نطـاق المقـرر المعمـول بـه، ممَّـا يتسـبب في تعطيـل مسـار الـدرس، ويُعيـق السـواد الأعظـم مـن التلاميـذ عـن الفهـم والاسـتيعاب، سـيما والمقـرَّرات المدرسـيَّة طويلـة وشـاقة، وفي المُقابـل فـإنَّ العـام الدراسـي صغيـر وقصيـر، ويكاد يكفـي بالـكاد لتغطيـة جميـع موضوعـات المقـرَّر، زد علـي ذلـك لـو أنَّ موقـف الأبويـن في المنـزل هـو موقـف المُعلِّمـين أنفسـهم في المدرسـة، كُلّ هـذا بلاشـك يدفـع الأطفـال الموهوبـين دفعـاً إلـي الشـعور بالضيـق والتبـرُّم والقلـق والإحباط،فيلجـأون إلـي العصبيَّـة أو العدوانيَّـة، وقـد يتعرَّضـون في تطـورات أُخـري إلـي الإصابـة بأمـراض الـكلام كالتهتهـة أو اللجلجـة.. أو قـد تـؤدي بهـم إلـي انحرافـات سـلوكية كالسَّـرقة أو الكـذب.

● المُعلِّمون .. وعدم التعاطف مع الطفل الموهوب !!

تطويـر مناهـج دراسـية بدرجـة تُحقِّـق المتطلبـات الأسـاس لتنميـة اسـتعدادات الموهوبـين يُعـدُّ شـرطاً ضروريًّـا لرعايتهـم، لكنَّـه

لا يُعد كافياً ما لم يكن هناك مُعلِّم كفء للعمل معهم؛ فالمُعلِّم هو عماد العملية التعليميَّة وأساسها، وهو الذي يُهيئ المناخ الذي من شأنه إمَّا أن يقوي من ثقة الطفل بنفسه أو يُزعزعها، ويُشجع اهتماماته أو يُحبطها، ويُنمي قدراته أو يُهملها.

ويغلب أن تكون نشاطات الحصَّة الدراسيَّة العادية أقل بكثيرٍ من مستوي القدرات الحقيقية التي يتمتَّع بها الطلاب الموهوبين؛ لأنَّ هذه الأنشطة تُركِّز علي الطالب المتوسط.

ويؤكِّد بعض الباحثين أنَّ المُعلِّمين ــ في معظم الأحيان ــ يكونون أكثر تعاطُفاً مع الطلاب العاديين، وأكثر تقبُّلاً واستحساناً لهم من الطلاب الموهوبين وذوي التفكير الاستقلالي نظراً لمَّا يسببونه من مشكلاتٍ ومواقف حرجة ومُربكة تستثير غضب المُعلِّم بل عداوته، فهم متعطشون للمعرفة، ميالون للنقد وإثارة الأسئلة غير المتوقعة.

كما أنَّهم أقل انصياعاً لنظم الضبط داخل الفصول الدراسيَّة،ويتسمون بغزارة إنتاجيتهم للأفكار والحلول غير المألوفة لمَّا يُطرح عليهم من قضايا ومسائل ممَّا يُشكِّل صعوبات جمَّة أمام مُعلِّميهم في تقديم هذه الأفكار بل وفي فهمها أحياناً.

هذا، وتقود سهولة الأنشطة الصَّفية والاستمرار بتقديم أنشطة تدريسية غير مناسبة للموهوبين، إلي سَّلبيات كثيرة

عند الطلاب الموهوبين أهمها قلة الاهتمام والرَّغبة في التعليم، وضعف التركيز، وفتور الاندفاع للإنجاز والتحصيل، والهروب من المدرسة، وبروز مشكلات سلوكيَّة وانفعاليَّة.

● المُعلِّمون .. وعدم فهمهم لارتفاع مستوي ذكاء الطفل الموهوب !!

قد يجلب المستوي العالي من الذكاء بعض الضرر علي صاحبه إذا لم يفهمه المُحيطون به فهماً جيداً، وإذا لم يُقدروه أو يتقبلوه.

وقد يُعتبر الطفل الموهوب ــ في بعض الأحيان ــ مُشاغباً أو خارجاً علي النظم المعمول بها بسبب عصيانه الناتج عن أن المُعلِّم لا يفهم حاجاته، بل ويُطالبه بالقيام بنشاطٍ أقل من مستواه العقلي.

وقد يتسبَّب عدم فهم المُعلِّم لحالة الطفل الموهوب في تأخره في تعلُّم القراءة والكتابة، عندها تظهر مشكلة التأخُّر الدراسي نتيجة لارتفاع مستوي الذكاء عن باقي تلاميذ الفصل الدراسي، ولا تكون المشكلة ناتجة عن نقص في الذكاء كما يتبادر إلي ذهن المُعلِّمين.

وممَّا يُزيد من تعقُّد المشكلة أنَّه إذا ما تسني للمُعلِّمين بالمدرسة فهم قدراته، ثُمَّ حاولوا بدورهم إقناع الأبوين بهذه الحقيقة، فإنَّ الوالدين لا يُصدقان المدرسة، بل يُصران علي

اتهام ابنهما بالغباء والإهمال وعدم اللامبالاة٠ذلك أنَّ الغالبية العُظمي من النَّاس يقيسون القدرات العقليَّة بمقدار ما يُحرزه الطفل من نجاحٍ في حياته المدرسيَّة دون أن يخطر ببالهم أنَّ الظروف البيئية وعدم ملاءمتها لقدرات الطفل العقليَّة قد تكون هي المُتسبِّبة في نشوء هذه المشكلة.

● صعوبات الطفل الموهوب في التعامُل مع المُعلِّمين !!

كثيراً ما يُصادف الأطفال الموهوبون بعض الصعوبات في التعامُل مع المُعلَّمين بسبب ما لديهم من طاقةٍ غزيرةٍ، أو ما يتمتعون به من تلقائيةٍ، وبسبب أيضاً ما يعتمل في دواخلهم من حسٍ بالصدق، وما يتميزون به من صراحةٍ.

وقد يعتبر المُعلِّمون هؤلاء الأطفال ـ في أغلب الأحيان ـ خارجين عن النظام، وأنانيين عندما يُلاحظون أنَّهم يتصرَّفون بمقتضي نظام مُعيَّن يُخضعون له سلوكهم، ذلك أن تصرُّفات هؤلاء الأطفال تُعتبِّر عن عقولهم المُتحفزة دوماً٠

● الأعمال الروتينيَّة.. ونبذ المدرسة !!

الطفل الموهوب إذا لم يجد عملاً يستثيره ويتحدي قدراته العقليَّة العالية، فإنَّه يجد صعوبة في التوافق مع حياته المدرسيَّة، بل يجد أنَّ اليوم الدراسي قد صار حملاً ثقيلاً.

أمَّا إذا كان العمل المنوط به سهلاً وتافهاً فإنَّه يعجز عن القيام به، ولكن مع هذا فإنَّ البعض منهم قد يُظهرون الرضوخ ويقومون بالعمل، ثُمَّ لا يلبثون أن يقيمون به باستخفافٍ وتسرُّع فينشأ عن ذلك تخلُّفهم فيه وظهورهم وكأنَّهم مُتخلِّفين دراسيًّا!!

وقد يعمد بعض التلاميذ مرتفعو الذكاء إلي عدم الإجابة عن الأسئلة التافهة بقولهم أنَّهم لا يعرفون الإجابة وذلك استصغاراً منهم للموقف، وهم يُفضلون هذا علي ترديد إجابات أسهل من مستوي قدراتهم العقليَّة العالية، وبهذا إنما ينبذون كُلّ ما لا يتحدي قدراتهم ومواهبهم.

وهم يبغون من المدرسة أن تستثير ما لديهم من مواهب، فإذا فشلت المدرسة في ذلك فإن المشكلة تبدأ في الظهور وينقلب التلميذ الموهوب إلي كارثة علي نفسه، وعلي مدرسته، وعلي مجتمعه، إذ يبدأ في توجيه نشاطه إلي مجالاتٍ أُخري غير مُستحبة كالتخريب والعدوانيَّة.

● الطفل الموهوب.. في حالة اتهام دائم من الغير !!

معظم الأطفال الموهوبين يرغبون في الاضطلاع بما هو جاد وفاعل ويعزفون عمَّا هو تافه وسطحي. كمَّا أنَّهم يبلورون في أذهانهم مفاهيم مُعقَّدة حول القيم والمُثل العُليَّا كالعدالة، والمساواة، والأخلاق.. إلخ، ويضعون أنفسهم في مكانةٍ عاليةٍ من السلوك والتصرُّف.

وفي بعض الحالات يكونوا مُخلصين لمُثلهم العُليَّا التي تتبلور في دخيلتهم وتتناغم مع تفكيرهم، لدرجة أنَّهم يُدافعون عنها بكُلِّ ما أوتوا من قوَّةٍ، فيعرضون أنفسهم ــ في سبيل ذلك ــ إلي اتهامهم بتهم العناد وعدم الطاعة، والخروج عن المألوف.

● التلميذ الموهوب.. وعدم الرَّغبة في إظهار قدراته العالية !!

قد يُخبئ بعض التلاميذ الموهوبين قدراتهم العالية عن مُعلِّمهم حتى لا يُحملهم بأعباء إضافية جديدة أكثر ممَّا يحمل زملائهم، وقد ينجم عن هذا التفكير أن يعمد بعض الأطفال إلي تقديم إجابات خاطئة في اختبارات التحصيل، أو اختبارات الذكاء، ويُقْدِم بعض الأطفال الموهوبين علي ذلك حتى يتسنى لهم البقاء بنفس الفصل، وحتى لا يتهمهم زملاؤهم بالاستظهار الآلي، وحتى يتجنبون نبذ الزملاء لهم.

● قد يواجه الطفل الموهوب مشكلات في تعلُّم القراءة والكتابة:

لا تستثير المواد الدراسية التي تتطلَّب الاستظهار الآلي رغبات كثير من الأطفال الموهوبين، وهذا يظهر في عدم إجادتهم للهجاء والقراءة، وفشلهم النسبي في تحصيل المهارات الحسابيَّة الأساس، وقد تصل الدرجة في بعض الحالات إلي أن يُعلن الطفل رفضه تعلُّم هذه المواد !!

وقد يجد بعض الأطفال الموهوبين مشقة في الكتابة، فالأفكار ترد إلي أذهانهم بسرعةٍ بحيث لا يسمح لهم البطء في التعبير عن تلك الأفكار بالسرعة في الكتابة. وينجم عن السرعة في الكتابة أيضاً الوقوع في بعض الأخطاء المُتعلِّقة بالهجاء أو بنظام الكتابة.

● الطفل الموهوب..والخوف من الفشل !!

قد يتجه الأطفال الموهوبين إلي نقد أنفسهم فيما يقومون به من أعمالٍ، وبالتالي يُصيبهم الخوف من محاولة القيام بأنشطةٍ جديدةٍ.

ويصدق هذا علي ممارسة الفنّ بصفةٍ خاصَّة،فقد يُحاول الطفل الموهوب تقليد إحدى الخرائط الجغرافيَّة، ولكنَّه إذا فشل في رسم تلك الخريطة صورة طبق الأصل، فإنَّه يعمد إلي تمزيق ما قام به، ثُمَّ يكف عن ممارسة أي نشاط يتعلَّق برسم الخرائط خوفاً من أن يُصاب بهذا الفشل مرَّة أُخري.

واحتمال الفشل قد يؤدي إلي في أغلب الأحيان إلي أن يتجنَّب الأطفال الموهوبين اكتساب الخبرات الجديدة، فإذا لم يتسن لهؤلاء الأطفال إحراز الإحساس بالطمأنينة فإنَّهم قد يُشاركون في الأنشطة بهمةٍ فاترةٍ، مُتذرعين بالاستهتار لتبرير النقص في مهاراتهم، كمّا يلجئون إلي المماطلة.

وقد يتذبذب الطفل الموهوب ــ في بعض الأحيان ــ بين عدة أعمال دون اهتمام واضح بأيٍ منها، ودون أن يضع خطة واضحة لعمله، ودون أن يرسم هدفاً مُحدَّداً لذلك العمل حتى يتسني له الهروب من النجاح السطحي.

والذي لا شك فيه فإنَّ الطفل غير الموهوب أو العادي لا يُحس بالنتائج التي يمكن أن تأتي في المستقبل بالدرجة التي يُحس بها الطفل الموهوب.

● الطفل الموهوب..واحتياجه إلي الحكمة في توجيهه:

الأطفال الموهوبين شأن أي نوع آخر من الأطفال إذ يكونون بحاجةٍ إلي توجيهٍ وإرشادٍ؛ لكي يتعلَّموا كيفية التعامُّل بنجاحٍ مع الآخرين.

علينا كآباء ومُعلِّمين أن نُعلِّمهم التذرُّع بالحكمة البالغة، والكف عن التعبير عن أنفسهم بفظاظةٍ.

غير أن المُبالغة في مُطالبة هؤلاء الأطفال بكبح جماح أنفسهم كثيراً ما يعمل علي إعاقة نموّهم، وبالتالي يُضطرون إلي توجيه طاقاتهم إلي منافذ غير مرغوب فيها.

نحن في أشد الحاجة لسبر أغوار هؤلاء الأطفال الموهوبين، حتى يتسني للمدرسة أن تقوم بتربيتهم بطريقةٍ ناجحةٍ وسَّويةٍ ومبتكرةٍ.